المهلهل ، وأن تشتعل حرب البسوس ليخلد اسمه فى سجل الخالدين من أبطال التاريخ العربى ، وأيضا فى سجل الطلائع المبدعة من رواد الشعرالجاهلى ، فقد نفض يديه من حياته اللاهية ، وآلى على نفسه أن ينأى بها عن كل مظاهرها حتى يثأر لأخيه ، ويلمع نجم المهلهل فى غمرات هذه الحرب ، فقد تزعم قبيلته فى معركة الثأر الضارية ، وشهدته ساحاتها العريضة يحقق لها النصر بعد النصر فى أيامها المتعددة ، حتى إذا ما كان يوم فضة ، وهزمت تغلب لأول مرة فى حربها مع بكر ، ووقع بطلها الذى لم يهزم من قبل فى أسر الحارث بن عباد ، انهارت أعصابه ، وبدأ نجمه فى الأفول ، وأخذت نهايته تتراءى فى الأفق ، وكأنما هدت الهزيمة عزيمته ، وأذل الأسر نفسيته، وحطم اليأس كله آماله ، فاعتزل الحرب ، وأحداثها ، وخلف وراءه ساحاتها إلى غير رجعة ، وانطوى على نفسه يضمد جراحها ، ويحاول أن يلملم ما تفرق منها ، ولكن الحياة أبت أن تترك له فرصة للهدوء والاستقرار وسحب الذيول على الماضى الدامى ، فاضطربت به فى شعاب الجزيرة العربية ، وشردته فى فلواتها شرقا وغرباً وشمالا وجنوباً . ثم تكون نهاية المأساة عند أخواله بنى بكر غريبا عن قومه ، بعيداً عن ديارهم . ويختلف الباحثون المحدثون فى محاولاتهم تحديد سنة وفاته بين سنوات ٥٠٠ ، ٥٢٥ ، ٥٣٠ ، ٥٣١ . وهى محاولات لا نملك معها ترجيحا لأى منها ، وإنما كل ما نملكه أن نقول أنه توفى مع مطالع القرن السادس الميلادى .

والأمر الذى لاشك فيه أن البطل الذى قام بدور البطولة الأول فى هذه الحرب هو أيضاً الذى قام بدور البطولة الأول على مسرح الشعر فى هذا العصر، فهو أهم شاعر ظهر فى هذه الحرب ، هو ألمع الشعراء فى هذا العصر ، ولكن الظاهرة التى تلفت النظر أن شعر المهلهل الذى وصل إلينا يوشك أن يكون وقفاً على حرب البسوس ابتداء من مصرع كليب الذى أشعل نيرانها وانتهاء بانتهاء دوره فيها بعد هزيمة قبيلته ، وانسحابه من ميدان الصراع ، وكأنما أرادت ربة الشعر أو شيطانه أن يظهر المهلهل الشاعر مع بداية هذه الحرب